السماوة من خلال التقرير السنوي لحاكمها السياسي النقيب نيلسون لولن

حيدر طالب حسين الهاشمي /كلية التربية / جامعة كربلاء
مؤيد شاكر كاظم /كلية الآداب /جامعة ذي قار
نعيم عبد جودة حبيب /كلية التربية / جامعة كربلاء

المقدمة

يعد تاريخ العراق المعاصر من الاختصاصات المهمة التي لابد من تكريس الدراسة فيها وتسليط الاضواء على الجوانب التي لازلت بحاجة الى دراسة وايضاح،لاهمية ذلك في معرفة الحقيقة التأريخية عن تأريخ هذا البلد العريق .ومن بين هذه الجوانب موضوع بحثنا الموسوم بـ (مقاطعة السماوة من خلال التقرير السنوي لحاكمها السياسي البريطاني النقيب نيلسون لولن). فعلى الرغم من ان هناك العديد من الدراسات الاكاديمية التي اختصت بدراسة تاريخ المدن (الالوية) والقرى العراقية ، الا انها تكاد تكون قد اغفلت جانبا مهما من جوانب دراسة اوضاعها العامة من خلال التقارير السنوية التي كان القادة السياسيين والعسكريين البريطانيين يعدونها لبلادهم والتي كانت تضم معلومات دقيقة ومفصلة عن اوضاع هذه المدن وفي كافة النواحي . جاء البحث بأربعة محاور رئيسة تم الايضاح في الاول منها الاوضاع العامة للمقاطعة من حيث الموقع والاهمية والمساحة فضلا عن المسؤولية الادارية لها ، اما في المحور الثاني الذي عنون بـــــ (الاوضاع العشائرية والسياسية للمقاطعة) فقد بينا فيه عدد المناطق التابعة للمقاطعة وعدد العشائر التي تسكنها مع اشارة الى الاوضاع السياسية في كل منها ، وفي المحور الثالث المعنون بـ (الاوضاع الاقتصادية للمقاطعة) اشرنا فيه الى واردات المقاطعة ودوائر الطابو والضرائب والزراعة والسقي فضلا عن واردات الاوقاف ، اما المحور الرابع الذي جاء بعنوان (الاوضاع الادارية والاجتماعية) فقد تناولنا فيه شؤون البلديات والقضاء والتعليم والصحة والعمال وقوات الشرطة (الشبانة) . تم التركيز بشكل رئيس في اعداد هذا البحث على التقرير البريطاني لعام ١٩١٨ فضلا عن بعض الوثائق والمصادر الاخرى التي تم من خلالها توضيف المعلومات اللازمة لاعداد البحث وتوضيح بعض المفاهيم والتسميات الواردة في ثناياه . ولابد لنا من الاشارة هنا الى ان بعض التسميات لبعض المناطق وردت في التقرير البريطاني لم نستطع التوصل الى معناها رغم الجهود التي بذلت لمعرفتها ، واخيرا نتمنى ان نكون قد وفقنا في اعداد البحث وفقا للمنهج العلمي الصحيح .

اولا:- الاوضاع العامة للمقاطعة .

بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى شرعت بريطانيا بتنفيذ سياستها الاستعمارية في العراق ، اذ قامت بأحتلال مدن العراق الجنوبية ابتداءً من البصرة والعمارة والناصرية ، ثم اخذت تتقدم بأتمام عملية الاحتلال بقية مدن العراق ، وكانت السماوة واحدة من تلك المدن التي سعت لاحتلالها . كانت السماوة قضاء تابع إلى لواء الحلة في عهد الدولة العثمانية ، ولكن بعد ان تم احتلالها من قبل القوات البريطانية في كانون الأول ١٩١٧ [١] ، اتجه البريطانيون إلى إعادة التقسيم الإداري لكافة ألوية (محافظات) العراق وبذلك رفع البريطانيين السماوة من درجة قضاء إلى مقاطعة Division ويتبع لها ثلاث مناطق Distrits هي الرميثة Rumaithah ، والشنافية Shinafiyah إضافة إلى مقاطعة السماوة نفسها [٢] .

١- المساحة

تشكل المقاطعة مساحة تمتد لحوالي (١٢٠)ميلاً على طول ضفتي نهر الفرات ، اذ تمتد من الدراجي جنوباً شرقاً حتى اعالي الشنافية في منحدر بمسافة ثمانية أميال شمالاً غرباً . ويكون اوسع عرض لها حوالي (٨٠) ميلاً ويحدها من الشمال الغربي مقاطعة الشامية ، ومن الشمال الشرقي مقاطعة الكوت ومن الجنوب الشرقي والجنوب الغربي تحدها مقاطعة الناصرية فضلاً عن ذلك فأن حدودها الشمالية الغربية يمثلها خط بطول (٥٠) ميلاً ممتداً من الفرات وماراً بالجوقا ((الكفر)) [٣] . يقدر سكان المقاطعة بـ (١٥٠.٠٠٠) الف نسمة ،الا انه تقديراً تقريبياً اذ إن الاحصائيات كانت قد اقتصرت على المدن ، وحتى في المدن فأن السكان المحليين تتملكهم الشكوك حيال التجدد ، وقد عملوا ما بوسعهم لارباك موظفي الاحصاء [٤].

٢- المسؤولية الادارية .

انيطت مسؤولية ادارة مقاطعة[١] السماوة بالنقيب كولد سمث Capt . Gold Smith[٦] الذي وصل السماوة في تشرين الثاني ١٩١٧ [٢]، وقد بقى في منصبه حتى نيسان ١٩١٨ ، واستمر في الخدمة حتى نهاية السنة

الاخيرة . في حين مارس باقي مساعدي الحكام السياسيين خدمتهم في المناطق التابعة للمقاطعة لفترات مختلفة من السنة وهم : النقيب فيلتشر Capt . Feltcher والنقيب تالبوت Capt . Talbot اما
مساعدي الحكام السياسيين الذين خدموا بأمرة النقيب نيلسون (لولن) هم النقيب آشتون Capt . Ashton كمساعد حاكم سياسي في منطقة الرميثة والنقيب فيليبز Capt . Phillips كمساعد في منطقة السماوة ، والملازم وود ورد Leut . Wood Ward كمساعد حاكم سياسي مسؤول عن الشبانة في مقرها في الرميثة . وكذلك جي جورجيوس Mr. Georgius الذي شغل منصب مساعد سياسي ومن ثم حاكم سياسي ، وكان يعمل كوكيل حكومي في الشنافية [٨].

ثانياً :- الاوضاع العشائرية والسياسية للمقاطعة .

تضم المقاطعة ١٩ قبيلة موزعة كالاتي :-

١- منطقة الرميثة وتشمل ، بني زريج ، بني عارض ، الخزاعل ، الاعاجيب ، الظوالم ، البو جياش والبو حسان .
٢- منطقة السماوة وتضم : ال زياد ، الصفران ، الجوابر ، ال محسن ، ال عيسى ، البركات وآل توبة .
٣- وتشمل منطقة الشنافية . آل عياش ، بني سلامة ، خفاجة ، البو صكر ، البو هليل ، وفرع من قبيلة الظفير .

لقد أستحسنت الادارة البريطانية التعامل مع الشؤون السياسية والقبلية للمقاطعة لتوزيعها الجغرافي [٩].

١- الرميثة .

تعد قبيلة البو جياش القبيلة الاكثر عدداً في حين تمثل قبيلة بني زريج القبيلة الاثرى ما بين القبائل ، وكان رئيس القبلية الاخيرة هو الشيخ عبد العباس ال فرهود ، اذ يمتلك أكثر الاراضي الكائنة على الضفة اليسرى لقناة الحلة[٣] الممتدة من الرميثة وحتى ارضي السيد محسن ابو طبيخ في الحمزة[٤] .ولعدة اسباب فأن لهذا الشيخ - عبد العباس آل فرهود – علاقات سيئة مع اكثر القبائل المحيطة به ، وإن عدائه مع قبيلة البو حسان ادى الى معركة ضارية ، خسر فيها كل طرف أكثر من (٤٠) قتيلاً وليس من المتوقع أن تفضي هذه المعركة الى تقليل الكره المتبادل فيما بين الطرفين ، وان نفوذ الحاكم السياسي وحده هو الذي حال دون نشوب المعركة مجدداً بين الطرفين ، أما القبائل الاخرى فهي أقل اهمية ، ومما يستحق الملاحظة أن العلاقة بين بني عارض والخزاعل يشوبها شيئ من التوتر دائماً ، وكان صراعهم على الاراضي بشكل رئيسي ، وعلى الرغم من وجود الافراد ذوي السلطة والمزعجين في المنطقة فأن وضعها مرضياً [١٢].

٢- السماوة :

تعد قبيلة ال بو زياد القبيلة الاكبر والاهم ، وقد احترف أفرادها الزراعة لفترة من الزمن ، وبسبب أرتفاع الغرين في قناة الصهلاوية Sahlawiah[١٣] ، التي تستخدم لسقي أراضي المنطقة ، فأنهم اجبروا أن يكونوا اصحاب مواشي ، وإن القبيلة بأكملها تنزح بقطعانها الى صحراء الشامية في فصل الشتاء [١٤]. يعد بريد ال جاهل الشيخ الرئيسي للقبيلة وقد اتخذ موقفاً ودياً من الاحتلال ، ويعد موضع ثقة لدى السلطات ، ولكن لسوء الحظ ، في هذا الجزء من البلاد ، فأنه على الاكثر غير متمكن من السيطرة على القبيلة بأكملها ، وان نفوذه محصوراً على فروع قليلة جداً من القبيلة[١٥] . القبيلة الاخرى التي تحضى بأهمية اكثر في المنطقة هي قبيلة الصفران ، والتي تمتلك الاراضي الممتدة بحوالي (١٥) ميلاً فيما وراء مدينة السماوة – جهة الناصرية – على الضفة اليسرى من مجرى نهر الفرات ، وانها واحدة من اكثر القبائل المزعجة في المنطقة ، ويترأسها الشيخ معجون أل حمادي الذي سلم بفروض الطاعة أمام النقيب كولد سمث في تشرين الثاني ١٩١٧ ، ولكن يبدو أنه لم يكن راغباً او غير متمكناً من كبح جماح الافراد المتمردين في قبيلته ، ويجعلهم يطيعون الاوامر . وقد اوصى النقيب (لولن) بأنه يجب أن يتلقى هو وأفراد قبيلته درساً نافعاً في القريب العاجل[١٦].

ويبدو من خلال ماتقدم ان شيخ القبيلة خضع لارادة المحتل ، ولكن افراد قبيلته تمردوا عليه لانه اراد تمثيل سياسة المستعمر في المنطقة لذلك اوصى (لولن) بتوجيه عقوبة للشيخ وافراد قبيلته.

٣- الشنافية :

وتمثل المنطقة الأقل أهمية في المقاطعة ، وعادةً ما تكون القبائل ضعيفة ، وتحت سلطة شيوخ ضعفاء ولا يملكون قدراً كبيراً من الاهمية السياسية مثلما هوعليه عند قبيلة آل زياد في منطقة السماوة[١٧] .

سكان هذه المنطقة مزارعون اصلاً ، وقد أشتهرت الشنافية بمحاصيل الحبوب ، ولكن أنخفاض مستوى المياه جعل الزراعة صعبة ومكلفة ، واخيراً أصبح افراد القبائل مالكي مواشي وأغنام ، ويقضون جزءاً كبيراً من السنة يجوبون في منطقة الشنافية وخارجها في طلب المراعي لقطعانهم ومواشيهم وان أراضي الرعي المفضلة لديهم هي تلك الكائنة قرب منطقة الباطن في الجنوب والجنوب الغربي وكذلك قرب المشخاب وغماس في الشمال

لم يظهر أن لدى القبائل رؤوساء ذوي سلطة بارزة قبل الاحتلال ، ويبدو ان بعض من الشيوخ ممن لدى سلطات الاحتلال ثقة بهم ، لديهم رغبات فردية في قبول مسؤولية الزعامة ، وبالرغم من أن القبائل ذات طبيعة فضة ، فأنه حتى ذلك التاريخ لم يبدر منهم سوى القليل من المشاكل ، ويعتقد (لولن) أنه من السهل جداً أن تقمع في حالة نشوب اية فوضى وقد تمت المصادقة على أعطاء مخصصات شهرية ذات اثر لكل شيخ ، وكانت بمقدار (١٥٠٠) روبية[٥].تورط رؤوسا السادة في الانتفاضة التي نشبت في النجف في ١٩ آذار ١٩١٨ [٦] التي قمعت بالقوة ، وكان السيد هادي آل مكوطر والسيد حسين ال مكوطر قد نفوا الى الهند ، وعموماً فقد اصبح سلوك قبائل المنطقة مرضياً، ويظهر إنهم أقتنعوا بالحكم البريطاني ، ولديهم استعداداً لقبول الانظمة بكل قناعة ، وتلقى الحاكم السياسي مساعدة جيدة من الافراد البارزين ، ومهما يكن من وجود حالة مرضية ، فأن ذلك يعود الى المودة الصادقة وإن مخاوفاً كثيرة من وجود جيوش الاحتلال ستبقى ماثلة للعيان[٢٠] .

ثالثا:- الاوضاع الاقتصادية للمقاطعة.

١- الواردات :

اوصى الحاكم المدني بتقليل الضرائب المجبات من الاراضي الاميرية[٧] ، ويعود ذلك لسببين : أولاهما أن هذه السنة الاولى التي تجبى فيها الضرائب في هذه المناطق ، وثانيهما وجود شيء من عدم الاستقرار تعيشه القبائل هناك كان التقييم مرضي جداً ، اذ ادى الى تفائل النقيب (لولن) بأن السنة المقبلة ستشهد تدابير منتظمة اذا تم أجراؤها من غير الاعتماد على السكان المحليين [٨] وقد جمعت (١.٥٠٠) طن من الغلال كلياً في هذه السنة[٢٣].

٢- **الطابو**:

لم توضع دائرة تسجيل طابو في المقاطعة حتى مجيء الاحتلال البريطاني ، ومن المهم والواجب – كما اوصى (لولن) - أن يستأنف العمل بها حالاً لان هنالك الكثير من أراضي الطابو ، ويعد سيد محسن ابو طبيخ والحاج عبد العباس آل فرهود من كبار مالكي الطابو في قبيلة بني زريج ، ويمتلك الاول أكثر الاراضي الممتدة فيما بين قناة الحلة والقاس في منطقة الشنافية ، في حين لدى الاخير ممتلكات هائلة على الضفة اليسرى من قناة الحلة ، وهنالك الكثير من ملاك الأراضي في السماوة يحوزون على سندات طابو[٢٤] .

أجري التعداد على العديد من المباني في السماوة والرميثة والشنافية ، وقد وضعت العديد من الترتيبات للتهيئ لمأمور الطابو الذي من المقرر أرساله من بغداد لاحقاً[٢٥] .

٣- الاوقاف :

تقتصر الاوقاف على مدينتي السماوة والشنافية فقط ولم تكن تلك الاوقاف بذات أهمية ، وتتكون بشكل رئيسي من خانات لغرض اسكان الزوار ، ومن حسينيات ، ويتم ادارتها عن طريق الملاك القدماء او أسلافهم ، ولا تتدخل الحكومة في ادارتها [٢٦] .

- واردات خاصة ومتنوعة .

هنالك ضرائب تجبى على الاسماك والخضروات والاخشاب والواردات وكذلك على الحيوانات ((ضريبة الكودة))[٩] وضرائب التبغ ، ويجري جمعها بأساليب متشابهة في أية مكان ، وجرت العادة أن تجبى الضرائب في الاسواق أيضاً ، وهنالك تفتيش منتظم يقوم به العديد من المسؤولين ومأموري الواردات[٢٨].

٤- الضرائب الجمركية :

لاتجبى ضرائب كمركية في المقاطعة فيما عدا منطقة الشنافية ، اذ يفرض مبلغ بمقدار (٥) روبيات ولم يجيئ حتى وقت اعداد هذا التقرير[٢٩] .

٥- السقي :

بني خلال عام ١٩١٨ سد في مؤخرة قناة الحلة لغرض رفع مناسيب المياه ، مما أدى الى زيادة مساحة الاراضي المزروعة بالرز ، وتم تعميق قناة الساقية التي تأخذ مياهها من مؤخرة قناة الحلة ولم تتخذ نظارة الري أية أعمال ذات اهمية ، وان بضع من مئات الايكرات[٣٠] التي تروى بمياه العيون لم تشملها نظارة الري ، ويجري السقي بوسائل بدائية كالكرود (آلة تستخدم للسقي سبقت استخدام الناعور) أو المضخات الالية ((هنالك ٢٢ مضخة منها)) ، ولكن انخفاض مستوى المياه جعل السقي صعباً ومكلفاً ومن المهم أن تبذل الجهود لرفع مناسيب المياه ، ولانجاز ذلك ، اقترح (لولن) خطتين بديلتين ، تتضمن الاولى بناء سد على شط العطشان عند بدايته في اسفل قرية الغرب (التابعة اداريا لمقاطعة السماوة)، مما يؤدي الى رفع مناسيب المياه في مؤخرة قناة الصقلاوية وقد بذل مسؤول الري في السماوة اهتمامه بهذا المشروع ويحظى المشروع الثاني بدعم من كل الملاكين ذوي النفوذ في المقاطعة ، ويتضمن أقتراحاً يقضي ببناء سد على شط الدغيفلية ((السبل)) الذي يمتد لحوالي (١٠)أميال أعلى اراضي الجماجة[٣١]. يفترض أن هذا السد يرفع منسوب مياه النهر حتى مستوى الضفاف ويجعل من

(١٠٠.٠٠٠) مشارة[١١] مستخدمة في متناول السقي ، وفي عهد الاتراك العثمانيين قام أربعة سراكيل[١٢] ببناء سد في هذه البقعة ، ولكنه لم يكن قوياً في مواجهة المياه الفائضة ، وقد جُرِفَ في غضون يومين ، ومع ذلك فأن أولئك السراكيل الذين دعموا المشروع لم يكونوا في الحقيقة راغبين في توظيف اموالهم في مثل هذه التجربة ، ولكنهم يؤمنون بالفائدة المتوخاة من هذا المشروع[٣٤] . أشار (لولن) بأن السكان المحليين أكدوا له بان الملاحة ستتواصل على طول نهر العطشان ، وأنه يعترف بمدى عملية ذلك المشروع ، وقد طلب من نظارة الري أن تمده بتقارير مفصلة عن المشروع ، وإذا فضلت العمل به ، فأن المخافر العسكرية المتمركزة في مناطق الوعار تظل تقاوم أي معارضة محلية للمشروع ، ولكنها تبقى بعيدة عن وصول المياه ، واكد بأن هذه النقطة تبقى موضع أهتمام قبل أتخاذ أي قرار نهائي[٣٥] . هنالك أيضاً مشروع ري آخر ، اوضح (لولن) بأنه يجب ان يكون مثار واهتمام في المستقبل القريب وهو تطوير قناة ابو دبس القديمة ، والتي تأخذ مياهها من نهر المشخاب قرب الكارون [١٣] وتنتهي قرب الجماجة وبتطوير هذه القناة وفروعها يمكن ارواء ما يقارب (١٠٠.٠٠٠) مشارة من الاراضي[٣٧] .

٦- الزراعة :

تتوافر لدى المقاطعة إمكانيات زراعية كبيرة وقد اشتهرت سابقاً بالإنتاج الهائل من الحبوب ، أشار (لولن) بأنها ستستعيد ثروتها السابقة بتطوير وتسهيل أمور السقي ،إذ أن فيها تربة رائعة ،أما المحاصيل التي تزرع حينذاك فهي : القمح ،الشعير ،الرز ، الدخن ، الماش ، السمسم ، واللوبياء[٣٨] .

وتكثر زراعة الخضروات التي تحف مدينة السماوة وهنالك ندرة في الحيوانات التي تستخدم في الحراثة ، ومن المؤمل أن تعمل نظارة الزراعة على أبداء المساعدة في تلك القضية وقد اوصى (لولن) بشدة بشأن أرسال مندوب مختص بالشؤون الزراعية الى المقاطعة[٣٩].

رابعاً:- الأوضاع الإدارية والاجتماعية .

١- البلديات :

تحوي المناطق الثلاث السماوة والرميثة والشنافية ثلاث بلديات وتتم أدارتها من قبل ما يسمى بـ (الريس) أي (المدير العام)، و انتظمت تلك البلديات على اسس مالية صحيحة ، وكانت ذات دعم ذاتي ، ويعتقد أنه ليس من الصواب أن تقوم تلك البلديات بتمشية الامور بالسرعة المطلوبة ، ولكنها تعني بنظافة وصحة المدن وتم بناء كابينات لحرق النفايات ،ومن الصعب الحصول على الكتاب في بعض الحالات ولكن تلك الصعوبة تم التغلب عليها تدريجياً . وليس من السهل حتى على سكان المدن أدارة البلديات ، ولكن أمل (لولن) أن يتم ذلك في الوقت المحدد ،وعندها سيتم بناء مجالس مدن على أسس صحيحة[٤٠].

ولكنه خشي أن يعتبر الناس الرغبة نحو الصحة والنظافة في ذلك الوقت مجرد نزوة وإن ما يقومون به هو مسايرة السلطة اكثر من تشجيعها [٤١].

٢- القضاء :

كثير من المسائل القضائية التي تمثل أمام الحكام السياسيين هي دعاوى مدنية لغرض استرداد الديون ودعاوي الطلاق ، وعندما لايجري التعامل مع مثل هذه القضايا بأيجاز من الحكام السياسيين البريطانيين ،فأنه يتم البت بها بمساعدة قضاة ووفق الدين الاسلامي وقد أستأنف العمل بقضيتين جنائيتين فقط وهما على جانب من الاهمية تضمنت أولاهما اتهام المسمى شناوة وشركاؤه بأغتيال تاجرين من نجد في الشنافية وتم البت بها من قبل حاكم السماوة السياسي النقيب كولد سمث وكذلك النقيب فيلش ، وعوقب المتهمين بدفع ديةالقتيلين ،أما القضية الثانية فهي تنفيذ حكم الاعدام من قبل الحاكم السياسي أيضاً على المتهم جاسم بن محمد من قبيلة الاعاجيب لقتله سلطان بن جابر ، وقد عدل الحكم فيما بعد (يتضمن الملحق المرفق مذكرة تشرح الحكم المعدل) [٤٢].

ومن جانب اخر فقد اختفت الجرائم الخطيرة اختفاءاً كبيراً ،وجرى التعامل مع الجرائم الصغيرة عن طريق تقارير يقدمها الحكام السياسيون المختصون[٤٣] .

٣- التعليم :

هنالك مدارس صغيرة في الرميثة في قرى الغرب أما السماوة فأنها بحاجة الى المدارس أكثر اذ يقطنها (١٠٠.٠٠٠) مواطن ولكن لا توجد هنالك مطالب عامة نحو التعليم ، ورغم أن السكان قد اخبروا الحاكم السياسي ،بأنهم سيرسلوا اولادهم الى المدارس حتى لو كانت هنالك مدرسة واحدة ، ولكن لم تكن لديهم رغبة بأن يصرفوامن جيوبهم بشأن متطلبات البناء ومصارف المعلمين [٤٤].

يتضح من ذلك ان السلطة المحتلة لم تبغي حينها تعزيز التعليم وتطويره، لذلك كانت تريد ان تلقي على عاتق السكان المحليين نفقات الدراسة ابتداءً من ابنية المدارس وانتهاءً بأجور المعلمين والمدرسين[٤٥].

٤- الصحة والوقاية :

أفتتح مستشفى مدني في السماوة بمسؤولية مساعد طبيب جراح من الدرجة الثانية في نهاية كانون أول ١٩١٨ ، ويمارس احد الموظفين الصحيين زيارات صحية لغرض التعليم الصحي واجراء العمليات ،وذلك من مقره في معسكر السماوة وتم ارسال معتمداً الى الرميثة ،اذ لايوجد هنالك موظفين صحيين مدنيين ، وبشكل عام تتمتع المقاطعة بحالة صحية متباينة . فقد حدثت أصابات كبيرة بمرض الجدري وشهدت تلك السنة وبائاً بمرض الكوليرة ،وكذلك اصابات هائلة بمرض الانفلونزا ،ويشهد الوضع انذالك صيدلية متجولة كان نافعاً، ولقى ترحاباً ، وقد امل (لولن) أن يبدا مستشفى مدني بالعمل فعلياً لمعالجة المرضى وقد بذلت الجهود لتطوير النظام الصحي في المقاطعة [٤٦].

وهنالك مسؤولين صحيين من المراتب البريطانية وظفوا في العمل في فرق صحية في الرمثية والسماوة وجاءوا بنتائج جيدة[٤٧] .

٥- الشبانة :

اجيزت قوة من الشبانة [١٤] للعمل في مقاطعة السماوة وتتألف كلياً من (٣٣١) فرداً موزعة كالاتي:- الرميثة (١٢١) ، والسماوة (١٥١) والشنافية (٥٩) فرداً ،تم تعزيزها بكافة العدة ولكن كان من الضروري ممارسة ضغوط كبيرة على سكان المدن وأفراد العشائر لانجاز هذاالمطلب ولم تقوم المقاطعة مسبقاً بأمداد الحكومة بالرجال لأغراض الخدمة اذ ان مثل هذه الخدمة غير مرغوباً بها، ولدى المجندون مخاوف من ان الإدارة البريطانية ستختار من بينهم جنوداً نظاميين[٤٩].

اعتاد سكان المدن أن يتحدثوا ليسخروا من المجندين ، وبالنتيجة فأن امر الحصول على المجندين كان صعباً ، ولكن حصل هنالك تطوراً ملحوظاً وعملياً في كل من السماوة والرميثة ، اذ أخذ الافراد المجندون قسطاً من التدريب الكافي ومنحوا حقوقهم كاملة مقابل ادائهم الخدمة العسكرية . وهنالك مشكلة اخرى هي الهيئة التابعة ، وكان الاونباشي والذين هم من بقايا المدرسة العسكرية القديمة لجنود العهد العثماني من بينهم مدربين عرب لديهم ميول نحول افشال عملية تدريب الجنود ، ومع ذلك كله أمل النقيب (لولن) أن يحصل مستواً مدهشاً من الكفاءة لدى الجنود[٥٠] .

ويبدو جلياً ان هؤلاء الجنود العرب الذين ارادوا افشال عملية التدريب يبغون افشال خطط المستعمر في المقاطعة التي كانت قائمة اساساً على تشكيل قوة محلية تابعة للقوات المحتلة تسيرها وفقاً لما يخدم مصالحها في المنطقة .

٦- العمل :

تم تعيين عدداً هائلاً من العمال العرب في أعمال بناء سكك الحديد ، وان العديد من الحالات تتطلب بالضرورة كماً من العمل القسري ، ومن الصعب في تلك الحالة تزويد السلطة بالعمال ، إذ يتذمر شيوخ العشائر من رجالهم الذين يكسبون ما يقارب (٤)عانات يومياً (وهذا بطبيعة الحال خطئهم – كما يرى (لولن) -) وبالنتيجة فأن عليهم أن يدفعوا للعمال الإضافيين من جيوبهم ، و يقولون كذلك بأن أولئك العمال يؤخذون من حقوقهم مما يلحق أضرارا بالزراعة، ويوضح الآخرين فشلهم في تزويد السلطة البريطانية بالعمال بقولهم بأن القبيلة بأكملها تبعد أميالاً في الصحراء ، ويرعون الماشية مما يجعل أسعافهم السلطة بالعمال أمراً صعباً [٥١].

ولسوء الحظ لم تضع الادارة الرسمية لسكك الحديد أية اجراءات لاغراض السكن او اقامة محميات للعمال المحليين حتى اللحظات الاخيرة مما زاد من التذمر العام للعمال ، ولا شك إن قضية العمل كانت السبب الرئيسي لحالة التذمر فيما بين القبائل ، وسببت الاستياء للادارة البريطانية ، في الوقت الذي كانت تريد فيه بالفعل تهدئة مثل تلك المشاعر ، وشك النقيب (لولن) فيما اذا كان العمل المنجز يعوض عن حالة الاضطراب ويأتي بنتيجة ، وأن أية حلول مرضية لتلك المتاعب ستلقى إرتياحاً لدى كل من القبائل والحاكم السياسي على حدٍ سواء ، وأبدى (لولن) أعتقاداً شخصياً بأن عدداً لا بأس به من العمال الهنود سوف ينجزون عملاً يؤدي الى حالة كبيرة من الرضا [٥٢].

- قضايا متنوعة :

توقع (لولن) أن يكون العمل بشكل عام مرضياً في تلك السنة ، وان علاقة الإدارة البريطانية مع القبائل ودية ، ولا توجد هنالك حالة أضطراب خطيرة ما عدا القليل من الجرائم.

أسعار السكن مرتفعة ولكن هذه الحقيقة تشمل العراق بأكمله ، ويذكر أيضاً أنه عندما تولى مسؤولياته في المقاطعة ، كان هنالك طريقاً واحداً فقط يربط الناصرية – سماوة – الشنافية ، ومنذ ذلك الحين بني طريقين جديدين أحدهما يربط الديوانية بالرميثة ، والثاني يربط الرميثة بالواعر ، ويتمتع كلا الطريقين بضروف جيدة ، وبأمكان السيارات المسير بهما خلال تسعة اشهر من السنة (الفترة التي لا تهطل فيها الأمطار) . وقد نقل مركز قيادة مقاطعة السماوة إلى الرميثة لأنها تتوسط المقاطعة [٥٣].

الخاتمة:

يبدو من خلال البحث أن سلطات الاحتلال البريطاني وظفت كل طاقتها لدراسة الأوضاع العامة في مدينة السماوة ، فلم تقتصر على حكمها عسكرياً ، بل حاولت أن تبسط سيطرتها على كافة ميادين الحياة ، لذلك وظفة المسؤولين بكافة الاختصاصات لدراسة اوضاع المدينة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والصحية .
وبعد دراسة نتائج التقارير التي تم التوصل أليها من قبل المكلفين بهذا الأمر .جاء تقرير الحاكم السياسي للمدينة (لولن) الذي وضع تقريره النهائي لحكومته ، يطلعها من خلاله على الاوضاع العامة في المدينة ، وما ينبغي أن تقوم به فيها . أن التقرير يشير اشارة واضحة ألى ان سلطة الاحتلال عازمة على حكم البلاد حكماً مباشراً وأبدياً ، لان دراسة الاوضاع العامة دلالة على عزمها ادارة البلاد والتحكم بخيراتها وثرواتها ، وكافة مجالات الحياة فيها .
ألا أن الحكومة المحتلة لم تدرك حجم الوعي الثقافي والحس الوطني الذي يتمتع به أبناء هذا البلد ، لاسيما في مدينة السماوة التي شهدت انطلاق ثورة العشرين للتخلص من الحكم الاجنبي المتغطرس وبالتالي فأن جهود الاحتلال ذهبت سداً لاخضاع سكان هذه المدينة بأرادته والتحكم بمصيرهم .

ملحق

حوكم جاسم بن محمد أمام حاكم السماوة السياسي بتهمتين ، الاولى القتل المتعمد لعمه سلطان بن جابر والثانية الحاقه اضرار جدية بالغة على مخيف آل سلاب ، وعليه أعتبر مذنباً بكلا التهمتين ، وحكم بالاعدام ، لقد ارتكب المتهم القتل ، ولكن أتضح إنه قام بموجب التقاليد العشائرية ، إذ إن سلطان بن جابر كان قد إغتال أبو المتهم قبل سنة ، وبعد المزيد من اجراءات المحاكمة التي مارسها الحاكم السياسي ، اخذ ينظر لاعتبار ضروف القتل ، وبالنتيجة اصدر الاحكام التالية :-

أ- أن سلطان بن جابر كان قد أغتال مسبقاً والد المتهم .
ب- عمل المتهم وفقاً لقانون دعاوي العشائر المدنية والجزائية[١٥]، إذ قام بالانتقام بقتله سلطان بن جابر و ...
ت- لايطالب ورثة سلطان بن جابر بالدية ، ولا يدفع لهم شيئاً طبقاً لقانون دعاوي العشائر المدنية والجزائية .

لذا فمن الواضح إن المتهم كان بعيداً عن اقتراف اية جريمة وفقاً لقانون دعاوي العشائر ، وبقتله سلطان بن جابر ، فأنه انجز الواجب الملقى على عاتقه بالثأر لابيه ، الواجب الذي لايمكن تعديه ، إذ ليس له ان يبقى شرفه مدنساً بين أتباعه ، وفي هذه الاثناء ، اصبحت المنطقة التي حصل فيها القتل تحت ادارة حكومة نظامية ويجب أن يعلم أفراد القبائل إن القانون سيكون في متناول ايديهم خلال مدة وجيزة ، ولهذهِ الغاية فأن إيداع المتهم في السجن لفترة قصيرة أمراً ضرورياً .

أما ما يخص الحاقه أصابة بالغة بمخيف آل سلاب ، فقد اتضح أنه لم يقم بذلك العمل عن قصد ، فالمجني عليه أصيب بنفس الرصاصة التي اخترقت سلطان بن جابر ، وقد عُد المتهم بالقصور الجنائي ، وطبقاً لقانون دعاوي العشائر فقد عدل الحكم من الاعدام الى السجن لسنتين ، ولم يطالب مخيف آل سلاب بأية تعويضات عند المحاكمة ، ويبدو إن الاصابة كانت طفيفة ، ولم يضع الحكم بنظر الاعتبار مطالبيه بالتعويض.

الحاكم القضائي
دبليو . مارشال

الهوامش

(1)British Occupation,2/944,Saiyed Tafar And Sayed Husain, Memo From P.O Nasiriyah To The Deputy Civil Commissioner. Basrah, No2978, 1917,P.71.
(2) Reports of Administration For Districts And Divisions of Occupiev Territories of Mesopotamia For 1918,Vol.1,P57.
(3)Ibid,P55.
(4) Ibid.
٥- جاء التقرير السنوي البريطاني لعام ١٩١٨بتقسيم اداري قسمت بموجبه البلاد الى و حدات ادارية (مقاطعات Divisions) ووحدات ادارية اصغر تابعة لها وهي (المناطق districts)، وقد نصبوا على المقاطعات حكام سياسيين او مساعدي حكام سياسيين بمختلف الرتب العسكرية . ينظر : نعيم عبد جودة حبيب الشيباوي ، الديوانية في ظل الاحتلال البريطاني ، دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ١٩١٧-١٩٢١ ، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية (أبن رشد) ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١، ص٤١٠ وما بعدها .

٦- بقي النقيب كولد سمث في ادارة مقاطعة السماوة حتى ٤ نيسان ١٩١٨ حيث تم نقله لادارة خانقين ينظر :ارنولد ولسن، بلاد مابين النهرين بين ولائين ، ترجمة فؤاد جميل ، ج٢، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ص ٣١٢-٣١٣ .
٧- كان ذلك في ١٢تشرين الثاني ١٩١٧ ، أذ جاء مصحوباً بحرس امده بهم شيوخ عشائر الحلة ، وقد اجتمع في اليوم نفسه بالنقيب فرانك بلفور Capt . frank . Balfur حاكم النجف والشامية السياسي . ينظر :- المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب بين سنتي ١٩١٤ و١٩٢٠ ،ترجمة جعفر الخياط ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩١٧ ، ص١١٩ .

8-Reports ,Op.Cit ,p 55.
9- Ibid.
١٠- يقصد بها كاتب التقرير القناة التي تتفرع من نهر الفرات عند سدة الهندية التي ينقسم عندها نهر الفرات الى فرعين ، وتنتهي قناة الحلة آنذاك في اراضي مقاطعة الناصرية مروراً بالحلة والديوانية والسماوة . ينظر :- Reports , Vol1,pp 77. .
١١- تقع ضمن حدود منطقة الديوانية التي كانت تابعة الى مقاطعة الحلة حينذاك . ينظر :
Reports , Vol I , Op. Cit P.130

12 - Reports,Ibid,P 55.
١٣- تقع قناة الصقلاوية ضمن حدود مقاطعة السماوة ، وتختلف عن سدة الصقلاوية التي تقع على نهر الفرات اعلى بغداد ، ينظر : شارل عيساوي ، التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب ١٨٠-٩١٤ ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ٥١٨ – ٥١٩ .

14-Reports,Op.Cit,P56.
15-Ibid.
16- Ibid.
17- Ibid.
١٨- عملة نقدية هندية ادخلها البريطانيون عند الاحتلال وكانت تساوي جنيهاً أسترلينياً واحداً وستة بنسات، ثم ارتفع سعرها فيما بعد الحرب العالمية الاولى فبلغ شلنين وستة بنسات ، عام ١٩١٩ وتنقسم الى عملات صغيرة ، ستة عشر عانة . ينظر :- ليدي دورود ، في بلاد ما بين النهرين صور وخواطر ، ترجمة فؤاد جميل ، ط ١، مطبعة الشقيق، بغداد ، ١٩٦١ ، ص٢١٦؛ المسن بيل، المصدر السابق ، ص١٧٣ ؛ حنا بطاطو ، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني وحتى قيام الجمهورية ،الكتاب الاول ، ترجمة عفيف الرزاز ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ١٩٩٠، ص.١٥٠
١٩- قامت هذه الانتفاضة التي نشبت في النجف في ١٩آذار ١٩١٨ ، اثر قيام أعضاء جمعية النهضة الإسلامية يترأسهم الحاج نجم الدين البقال ، بأقتحام سراي السلطة البريطانية الكائن خارج المدينة ، وتمكنوا من قتل الحاكم السياسي البريطاني النقيب مارشال ، أعقبها أهالي المدينة بأنتفاضة لم تستطع السلطة اخمادها الا بعد حصار امده خمسة واربعون يومياً ، للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الرزاق الحسني ، ثورة النجف بعد مقتل حاكمها مارشال ، ط٣ مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٧٨.

20-Reports,Op.Cit,P56.
٢١- تطلق هذه التسمية على الاراضي التي يتم التعاقد عليها مع الحكومة ، ويجري التعامل اما مع كبار شيوخ العشائر الذين يأخذون نسبة ٧٥% من الغلة ، بضمنها ٤٥% حصة الحكومة تكون حصتهم ٣٠% و٢٥% حصة الفلاح، او مع السراكيل ، وفي هذه الحالة تكون حصة الحكومة ٢٣ ، ٥٢% والمتبقي حصة الفلاح بضمنها ٦% تدفع للسراكيل – أي ان صافي حصة الفلاح ٤١.٧٧% ينظر :- احمد فهمي ، تقرير حول العراق ، مباحث عن ثروة العراق واقتصادياتها وحالة السكان الروحية والاجتماعية مستنداً علىالتقرير المرفوع الى وزارة المالية ، المكتبة العصرية ، بغداد، ١٩٢٦ ، ص.ص ٦٩-٧٠ .
٢٢- يقصد بذلك استخدام الموظفين البريطانيين لاداء تلك المهام .

23- Reports,Op.Cit,P56.
24-Ibid.
25- Ibid.
26- Ibid.
٢٧- سنت هذه الضريبة منذ الاحتلال العثماني و تفرض بنسبة عشر على المواشي ، وتكون فترة جبايتها في الثلاث اشهر الاخيرة من كل سنة ، ينظر :- نعيم عبد جودة حبيب الشيباوي ،المصدر السابق ، ص٢٧ .
28- Reports,Op.Cit,P56.
29-Ibid.
٣٠- وحدة قياس تستخدم في النظام البريطاني وتساوي ٤٨٤٠ ياردة مربعة أو ٤٠٥٠ متر مربع .

ينظر : , Oxford Advanced Learner's Dictionary
oxford University press, 2004, P.11

31- Reports,Op.Cit,P57.

٣٢- وحدة قياس اعتاد الفلاحون العراقيون على استخدامها محلياً ، ويكون الذراع وحدة القياس فيها فتساوي ١٠٠ذراع طولاً و٥٠ عرضاً .

٣٣- كلمة سركال تحريف لكلمة سركار الفارسية ، التي تعني الوكيل . ينظر : محمد توفيق حسين ، نهاية الاقطاع في العراق ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص٢٦ .

34- Reports,Op.Cit,P57.

35-Ibid.

٣٦- يقع ضمن مقاطعة السماوة آنذاك ، ويختلف عن نهر الكارون الذي يصب في شط العرب من جهة ايران .

37- Reports,Op.Cit,P57.

38-Ibid.

39- Ibid.

40-Ibid.

41-Ibid.

42-Ibid.

43- Ibid, p58.

44- Ibid.

45-Ibid.

46- Ibid.

٤٧- تطلق كلمة شبانة Shabanah على الجنود الذين يستخدمون بأجور لاغراض عسكرية وشبه عسكرية ويطلق البريطانيون عليهم كلمة " الليفي" Levies أو Levy . ينظر : المس بيل ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

48- Reports,Op.Cit,P58.

49-Ibid.

50- Ibid.

51- Ibid.

52-Ibid, P59.

53- Ibid.

٥٤ - أصدر البريطانيون في الاول من شباط ١٩١٦ قانون دعاوي العشائر المدنية والجزائية ، المقتبس من النظام القضائي الذي وضعه البريطاني روبرت ساندمان في بلوجستان ١٨٧٥. وقد وضع اسسه ومبادءه في العراق ضابط الواردات الاول السير هنري دوبس ، وبذلك قسم المواطنين العراقيين امام القانون الى قسمين مدنيين وعشائريين للمزيد من التفاصيل ينظر :

Tribal Criminal and Disputes Regulations, Baghdad, 1918.

وكذلك : المس بيل ، المصدر السابق ، ص٥٠؛ فاروق صالح العمر ، حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤-١٩٢١ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص٣٧ .